

محاضرات إسلامية هادفة

٢

النوْحُ مَحْزُورٌ مَحْبُورٌ

تأليف

الدكتور عَسْرَ سَلِيمَانَ الْأَشْقَر



مكتبة الفلاح



دار النفائس

٢١٤
عمر

عمر سليمان الأشقر

التوحيد محور الحياة / عمر سليمان الأشقر

ط ٢ - عمان (د . ن) ١٩٩١

(٤٦) ص

ر . أ . ٧١٦ / ١٠ / ١٩٩٠

١ - الإيمان بالله أ - العنوان

تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية

النوحيون في مجرأ الحياة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

دَارُ النَّفَائِسِ

الأردن - عمّان - العبدلي - مقابل جوهرة القدس
هاتف ٦٩٣٩٤٠ - ص.ب (٢١١٥١١) - فاكس (٦٩٣٩٤١)

مَكْتَبَةُ الْفَلَاحِ

الكويت - شارع بيروت - مقابل برتيد حولي القديم
تلفون : ٢٦٤٧٧٨٤ - ص.ب : ٤٨٤٨ الصفاة
الرمز البريدي : ١٣٠٤٩ الكويت - برقياً، لاغالكو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَقْدِيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة
للعالمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وعلى من اهتدى
بهديهم ، واتبع سبيلهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن من تأمل في خاتمة الرسائل السماوية تأمل فقيه معتبر -
علم يقينا أن توحيد الله هو محور هذه الرسالة ، بل هو محور كل
الرسالات السماوية ، وهو كذلك محور حياة الانسان الحق ،
فقيمة الانسان الحقيقية تتبدى عندما يجعل الانسان ربه محور
حياته ، ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ ، وبذلك تتفق وجهة الانسان ووجهة الكون الذي
يعيش فيه ، فالكون كله مطيع لله ، خاضع لسلطانه ، مسبح
بحمده ، فإذا تمرد العبد على ربه أصبح نعمة نساذا في هذا الوجود
الهائل المتجه إلى الله وحده بالطاعة والخضوع . وهذه الرسالة
أصلها محاضرة ألقى في المؤتمر السنوي المتمم للعشرين لجمعية
الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة وايرلندا الذي انعقد في الفترة

من ١٨ إلى ٢١ من ديسمبر ١٩٨٠ ، وقد هدفت إلى تجلية القضية الكبرى التي ينبغي أن تكون مدار حياة الفرد المسلم والمجتمع المسلم ، ألا وهي توحيد الله تبارك وتعالى .

وعلى الدعاة والكتاب والمدرسين أن يجهدوا أنفسهم في بيان هذه القضية بشتى الوسائل والأساليب ، لأنها القضية العظمى التي يجب على كل فرد من بني البشر أن يستوعبها ويدركها ، وإلا فإنه يخسر الدنيا والآخرة ، نسأل الله أن يمن علينا بإخلاص الدين له ، والعمل بطاعته ، إنه نعم المولى والنصير .

النوحُ مُجْرًا لِحِكَاةِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَسْتَهْدِيهِ ،
 وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مِنْ يَدِهِ اللَّهُ
 فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ﴿ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١)
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ
 مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
 تَسَاءَلُونَ بِهِ ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾^(٢)
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
 لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾^(٣)

أما بعد : فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى

(١) سورة آل عمران / ١٠٢

(٢) سورة النساء / ١

(٣) سورة الاحزاب / ٧٠ - ٧١

محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

انتم الأمل لعالم يلفه الشقاء :

أيها الإخوة والأخوات : أنتم وأمثالكم من الفتية والفتيات في مشارق الأرض ومغاربها الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى - الأمل الذي ينعقد عليه الرجاء كي يخلص الحياة من الظلم والطغيان الذي يلفّ العالم اليوم ويكاد يدمره تدميرا .

لقد بلغت البشرية اليوم شأوا عظيما في العلوم المادية ، فحلقت في أجواز الفضاء ، وغاصت في أعماق الأرض ، وكشفت كثيرا من أسرار المخلوقات ، ولكنها في العلوم التي تعرفها بخالق الحياة ، وأسرار الوجود ، وخفايا النفس الإنسانية جاهلة جهلا يكاد يكون مطبقا ، ولذا فإن العلوم المادية التي حصلت عليها قد تكون نقمة لا نعمة ، وقد يدمر البشر ما شيده من حضارة وعمران بأيديهم .

لقد جهل الإنسان في هذه الأيام نفسه ، جهل سبيل السعادة والهناء ، الناس البعيدون عن وحي الله المنزل - يبحثون عن السعادة والطمأنينة ، ولكنهم لا يعرفون طريقها ، فهم كمن يضرب في صحراء شاسعة مترامية الأطراف ، تشابكت طرقها ،

وانمحت معالم دروبها ، فهم يهيمون على وجوههم من غير دليل يهديهم ، فأنتَ يعرفون المسار الموصل إلى الهدف المنشود ؟ .

لقد هجرت البشرية اليوم تعاليم الأنبياء الذين جاؤوا ليعرفوها الطريق الذي يوصلها إلى الشاطئ الآمن ، و يقيمها على الصراط المستقيم ، واستكبرت البشرية عن أن تأخذ بالمنهج الذي وضعه خالقها وإلهها ، فكانت عاقبتها هذه الشقوة التي يحس بها الناس في قرارة نفوسهم ، وتبدو آثارها على قسما ت وجوههم ، والله إنني لألمح آثار هذه الشقوة تطل من العيون ، وترسم على الوجوه ، عيون ووجوه أهل هذه الديار^(١) التي أعرضت وتولت عن الله ودينه ، وهذا حال كل بلدة شردت عن الله ومنهجه ، ولا يعرف هذا الأسى وذلك الحزن والشقاء إلا من تخلص من جاهليتهم هذه ، وقد لاحظ هذا الذي لاحظته محمد أسد^(٢) بعد إسلامه ، وسجله في كتابه « الطريق إلى مكة » والذي عنون له في طبعة لاحقة بعنوان « الطريق إلى الإسلام » .

إنَّ الأمراض النفسية والعقد النفسية سمة هذا العصر ، وإن

(١) المحاضرة ألقيت في بريطانيا

(٢) كان اسمه قبل الإسلام لبوبولد فايس ، وكان يهوديا من النمسا

علماء النفس وعلماء الاجتماع الذين يهرول إليهم أبناء هذه المجتمعات ليشفوههم من عقدهم وأمراضهم لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، بل إن كثيرا من هؤلاء يشكون من نفس الأمراض التي يطلب الناس علاجها عندهم ، فكيف يعالجون غيرهم من شقوتهم ، وهم يعيشون في مثل تلك الشقوة !!

يحدثني مشرف اجتماعي في إحدى المدارس بعد علاقة صداقة بيني وبينه عن هموم أثقلت نفسه ، وغزت قلبه ، فعكرت صفو أيامه ، وأسهرت ليلاليه ، وهو لا يعرف لها سببا ، ولا يجد لها علاجاً ، ولم يجد أمامه إلا تلك التعاويذ التي كانت تعوذه بها جدته ، والآن يضع المصحف تحت وسادته عند منامه ، قولوا لي - بالله عليكم - كيف يحل مثل هذا المثقل بهومومه وأعبائه هموم الآخرين ومشكلاتهم ، ولو أحسن الصلة بالله ، وشغل جزءاً من يومه في ذكر الله لاطمأن قلبه وهدأت نفسه ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١)

وإن الآلام والهموم والأوجاع النفسية اليوم ليست مقصورة على أهل الدول المتأخرة ، ولكنها سمة المجتمعات التي يدعي أصحابها

(١) سورة الرعد / ٢٨

التقدم والحضارة والتمدن ، ولقد فقد الناس في هذه الحياة طعم الحياة ، فهانت عليهم الحياة ، وهانت عليهم أنفسهم ، ومن هنا جاء هذا التمرد من الشباب والفتيات في مثل هذه المجتمعات ، هذا التمرد الذي نرى مظاهره في الهيبز ، والتافهين ، وفي أجيال المخدرات حيث يهرب هؤلاء من واقعهم وهمومهم بتعاطي تلك السموم التي تفقدهم عقولهم ، وتهدم أجسادهم وقواهم ، ولقد بلغ الأمر بهؤلاء إذا ما واجهتهم الصعاب والمشكلات أن يرقى أحدهم إلى قمة بناء مرتفع ، ثم يلقي بنفسه ، فيصل إلى الأرض أشلاء ممزقة ، وقد هالني خبر قرأته بالأمس ، قرأت خبر مظاهرات صاحبة بلغ تعداد المشاركين فيها مائة ألف ، بقى أن تعلموا أن هذه المظاهرة لم تقم لأن الروس قد احتلوا أفغانستان ، وأذاقوا أهلها البلاء أشكالا وألوانا ، ولا لأن المئات في الهند وفي غيرها يسقطون كل يوم موت من الجوع ، ولا لأن حقوق الإنسان انتهكت في كثير من بقاع الأرض ، إنما قامت لأن مغنيا اغتيل وسقط ميتا ، ولم يكتف بعض هؤلاء بالمظاهرة تعبيرا عن حزنهم ، وآلامهم ، لقد انتحرا اثنان من المتظاهرين ، أي قيم هذه ، وأي مثل ؟ إنها حياة تافهة تعظم التافهين ، وتنتهي حياتها حزنا على هذه التفاهات ، أين هذا من المسلم الذي لا يحركه إلا أمر الله ، ولا يوقفه إلا نهي الله ، والذي جعل حياته ومماته وفقا على مولاه !!

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) ،

بقي أن نعلم أن هؤلاء المتظاهرين ، وأولئك المتحررين التافهين
ليسوا في دولة متأخرة، وإنما هم أبناء دولة متحضرة هي أمريكا ،
ويذكرني هذا بشيء مماثل حدث في مصر عندما هلك المغني المعروف
عبدالحليم حافظ وانتحر على أثر وفاته أربعة أشخاص .

انظروا أيها الاخوة إلى حياة الناس في هذه الديار المتحضرة ،
أين الأمن فيها ؟ أين السكينة والهناء ؟ فقد ذلك كله ، ومن يطالع
التلفاز ، وينظر في الصحافة ، ويسمع الأخبار - يعلم المدى الذي
وصلت إليه الجريمة التي أقلقّت مضاجع الناس ، وجلبت الخوف
والرعب إلى النفوس ، إنَّ الدماء تسيل في كل يوم لتعلن عن هذا
العذاب وهذا الشقاء الذي يعيشه الإنسان .

انتم حملة دعوة الرسل العظام :

وأنتم أيها الإخوة أمل البشرية في حاضرها كما كان أسلافكم

(١) سورة الأنعام / ١٦٢ - ١٦٣ .

أملها في ماضيها ، أنتم لا تمثلون أمة يمتد تاريخها إلى ألف وأربعمائة عام فقط ، ولكنكم تمثلون تاريخاً يمتد إلى أغوار بعيدة في الزمان ، أنتم امتداد للرسل الكرام ، والأنبياء العظام ، الذين تلاحقوا على مدار التاريخ الإنساني ، يحملون مشاعل الهداية للبشرية ، أنتم تحملون نفس الراية التي حملوها ، وتعتقدون العقيدة التي اعتقدوها ، وتنشدون الهدف الذي راموا تحقيقه ، كلنا أيها الإخوة نجمعنا مسيرة واحدة ، وجهتها ومعبودها هو الله ، فإليه نسير ، ويهديه نستنير .

ما دوركم ؟

إن دورنا - أيها الإخوة - نحن الذين رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً - هو دور الرسل الكرام وأتباعهم على مرّ العصور ، أن نرد البشرية الشاردة التائهة الحائرة التي ضلّت في منحنيات الطريق إلى ربنا الواحد الأحد ، كي ترضى به ربّاً ومعبوداً ، وبدينه منهجاً وطريقاً ، وبرسوله هادياً ومبشراً ونذيراً ، وهذه المهمة التي نحملها اليوم على كواهلنا هي المهمة التي حملها الأخيار من أسلافنا الكرام ، ونحن إذ نحملها فإنما نقوم عن البشرية بعبء أشفقت السموات والأرض من القيام به ، وتحمله

بنو آدم ، ولكن كثيرا منهم ضيعوه ، وتهربوا من حملة ، ﴿ إِنَّا
 عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ
 يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
 جَهُولًا ﴾ (١) .

هذه الأمانة الغالية تحملها المصطفون الأخيار ، فقد أرسل الله
 جميع الرسل للمناداة بها ، وتحقيقها في واقع البشر ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا
 مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
 فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا
 اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٣) .

وقد أوجز الحق هذه الغاية في كلمات قليلة خاطب بها نبيه
 موسى عليه السلام عندما كان عائدا من مدين فاضل الطريق في
 صحراء سيناء ، فانطلق إلى نور لاج له من بعد ، وعندما أتاه
 مخاطبه الحق قائلا : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
 فَاعْبُدْنِي ﴾ (٤) ، بهذه أمره ، ومن أجل هذا خلقه ، ومن أجل

(١) سورة الاحزاب / ٧٢

(٢) سورة الانبياء / ٢٥

(٣) سورة النحل / ٣٦

(٤) سورة طه : ١٤

هَذَا خَلَقَ الْبَشَرَ جَمِيعاً ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ
 إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ (١) 》 .

إن معرفة الله والعلم به والتوجه إليه هي نقطة البداية الصحيحة في المسيرة الانسانية ، والضلال عن الله والجهل به هونقطة الضياع في الحياة الإنسانية ، إن الإيمان بالله قاعدة يبني عليها بناء هائل ، وأصل لا يغني عنه غيره ، فإذا قام البناء على غير هذه القاعدة كان بناء ضعيفا مختلا ، وفي كثير من الأحيان يقتل من بناه ، ويدمر من سكنه .

بِالْعِلْمِ بِاللَّهِ وَمَعْرِفَتِهِ تَزْكُو النُّفُوسُ :

إنَّ الْعِلْمَ بِاللَّهِ يَزْكِي النُّفُسَ الْإِنْسَانِيَّةَ ، فَالْعِلْمُ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الْعَمَلُ ، وَالنَّشَاطُ الْإِنْسَانِي الدَّائِمُ الدَّائِبُ أَثَرُ الْمَعْتَقَدَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَفْكَارِهِ ، وَقَدِيمًا قَالُوا : الْإِنْسَانُ أَسِيرُ أَفْكَارِهِ .

(١) سورة الذاريات ٥٦ - ٥٨

ولذلك نجد القرآن يأمرنا بالتعرف على ربنا ، والعلم بأسمائه وصفاته ، يقول الله لنبية ﷺ : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ ﴾ (١) ، فكل انسان مطالب بأن يعلم بأن لا اله الا الله ، وأن الله سميع عليم ، غفور رحيم ، عزيز حكيم ، غني حميد إلى غير ذلك من الصفات ، قال تعالى : ﴿ وَقِنلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) وقال : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) وقال : ﴿ وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٥) .

وقد حدثنا الرب تبارك وتعالى عن صفاته وأفعاله ، وكانت السور والآيات التي تحدثنا عن ذلك هي اعظم سور القرآن وآياته .

ففي الحديث أن ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن ، وفي الحديث ان آية الكرسي اعظم آية في كتاب الله ، وهذه الآية ،

(١) سورة محمد : ١٩

(٢) سورة البقرة : ٢٤٤

(٣) سورة آل عمران : ٩٨

(٤) سورة البقرة : ٢٦٠

(٥) سورة البقرة : ٢٦٧

وتلك السورة حديث عن الله تبارك وتعالى وصفاته ، ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (١) ، انها تثبت لله الواحدانية ، في ذاته ، فليس له مثل ولا نظير ولا ند ولا شريك ، تعالى عن صاحبة والولد .

وآية الكرسي ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) .

هذه الآية حديث عن الله ، فهو المعبود الحق المتصف بالحياة التامة التي لا يعرفها نقص ، والقيومية التامة فهو قائم بنفسه مقيم لغيره ، ولكمال حياته وقيوميته ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (٣) والسنة اوائل النوم ، وهو الملك الحق ، الذي يملك ما في السموات والارض ، والكل تحت قهره وفي قبضته ، لا يشفع احد عنده الا

(١) سورة الاخلاص : ١-٤

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥

بإذنه ، وعلمه محيط بعباده ، يعلم ما قدموا وما آخروا ، ولا ينال
 البشر من العلم الا ما شاء الله ان ينالوه منه ، ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ
 الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

واستمع الى هذه الآيات الكريمة التي تحدثنا عن ربنا وتعرفنا به
 ثم لاحظ اثرها في نفسك : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ
 الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ
 لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢٤) . (٢) .

ويفصل القرآن لنا القول في بعض صفات الله كي تأخذ ابعاده
 في نفوسنا ، يحدثنا - مثلا - عن علمه ، فإذا به علم واسع محيط ،
 يحيط بالحياة والاحياء ، يخترق الحجب والظلم ، ويصل إلى اغوار
 النفوس ، والكبير والحقير في علمه سيان ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ
 الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ

(١) سورة البقرة : ٢٥٥

(٢) سورة الحشر : ٢٢ - ٢٤

مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يُعَلِّهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ
وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى
ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

وقال في موضع آخر : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
مِنَهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٦١﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦٢﴾

وقال في موضع ثالث : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا
تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٦٣﴾ عِلْمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٦٤﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ
الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿٦٥﴾

(١) سورة الأنعام : ٥٩ - ٦٠

(٣) سورة الرعد : ٨ - ١٠

(٢) سورة سبأ : ٢ - ٣

وكما حدثنا الحق عن صفاته حدثنا عن أفعاله ، وهو حديث يخالط النفس ، ويأسر الروح ، فترى الانسان يستمع إلى الآيات وهي تجول به في هذا الكون تبصره بصنع الله ، وكأنما هو يشاهد هذا الكون وما فيه لأول مرة ، فإذا القلب موصول بالله تبارك وتعالى ، وإذا بالنفس تخشع ، والعين تدمع ، واللسان يسبح لله :

﴿ قَالُوا الْإِصْبَاحُ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَّا تَخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مَّتْرًا كَبًّا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مِثْلَهَا وَغَيْرَ مِثْلِهِ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ (١)

وقال في موضع آخر :

﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَمْثَالَكُمْ
إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ
رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايْزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ
شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْتِجُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ
بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾
وهو الذي سخَّر البحر لنا كلوا منه لحما طرياً وتسخر جوا منه
حلية تلبسونها وترى الفلك مواجر فيه ولتبضعوا من فضله
ولعلكم تشكرون ﴿١٤﴾ ﴿ (١)

(١) سورة النحل : ٥ - ١٤

بالايمان بالله يكشف الاسرار ويتحدد المسار :

إن معرفة الله من خلال صفاته وأفعاله هي نقطة البداية الصحيحة كما أسلفت من قبل في حياة الانسان ، واذا وفق العبد الى هذه النقطة فقد أوتي خيرا كثيرا ، ذلك أنه اهتدى إلى الله ربه ، ومن ثم فإنه يضع قدميه على الطريق الصحيح في رحلته ، وسيصل أخيرا إلى نهاية طيبة هناك في جنان الخلد ، إن علمنا بالله ومعرفتنا به ، تصلنا بالله ، وتقوم نفوسنا ، وتصلحها ، ثم انها تعرفنا بأصلنا ، وبالكون من حولنا ، الايمان بالله يكشف لنا سر الكون ، وسر الوجود ، ويعرفنا بغاية الوجود وغاية الانسان ، ولقد احسن البخاري كل الاحسان عندما بدأ كتابه الجامع الصحيح الذي هو اصح كتاب بعد كتاب الله بكتاب الوحي ، لأن الوحي هو السبيل المأمون للمعرفة ، لا اقصد معرفة الله فحسب ، بل معرفة الحقائق الكبرى التي تقوم عليها الحياة ، فإنك اذا آمنت بالله ، وصدقت به ، وقبلت ما جاءك من عنده كشفت لك كثير من الاسرار .

إن البشر الذين يرفضون وحي الله يختارون وتضطرب افكارهم ولا يقر لهم قرار ، ترى البشر اليوم يبحثون عن اصلهم فيضلون ، وينظرون في غاية وجودهم فيختارون ، وينظرون في مصدر الكون فيجهلون ، ويبحثون عن العلاقة بين الرجل والمرأة ، ووظيفة

المال ، وطريقة سياسة الامة فلا يهتدون ، انها نظريات تتضارب وتتصارع ، لقد وصل الحال بالبشر اليوم إلى ان قالوا بأن الكون وجد من غير موجد ، والحياة الدنيا هي الغاية ، وليس وراءها للانسان مطلب ، وقامت العلاقة بين الجنسين على الرذيلة ، واخرجوا المال عن وظيفته فاستعملوه في الربا ، ولا تزال نظريات الحكم في الشرق والغرب تتغير وتتبدل ، وصدق الله إذ يقول :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ (١) ، إن الظلمات هي تلك النظريات والعلوم التي تخطط للانسانية بعيدا عن منهج الله .

المسلم يؤمن بالله ثم يستمد منه كل شيء ، من خلال وحيه الى رسله ، نعرف ربنا ، ونعرف أنفسنا وطريقنا ، والكون من حولنا ، وعندما يكون البشر كذلك يتحول هذا الصراع الذي زلزل المجتمعات الانسانية الى وفاق ، وتتوقف هذه المآسي التي سببت الدمار والكوارث ، وتختفي الدعوات والنظريات التي تفرق البشر ، ويعود الامر إلى نصابه ، ويصبح البشرية واحدة كما اخبر

(١) سورة البقرة : ٢٥٧

الحق تبارك وتعالى ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (١) ،
فالذين انتموا إلى دعوة التوحيد يشكلون امة واحدة على الرغم من
اختلاف العصور والامكنة والاشكال والأجناس .

الله هو الغاية وله التوجه والعمل :

ولكن العلم بالله لا يكفي ، بل يجب ان يكون الله هو الغاية
أيضا ، فالنشاط الانساني يجب ان يوجه وجهة معينة ، وبذلك
تتسق البداية والنهاية ، ويتحد المنطلق والغاية ، ان الاصل الاول
الذي تحدثنا عنه هو العلم بالله ومعرفته ، والاصل الثاني الذي يبنى
على ذلك هو التوجه إليه وحده ، ولا تصلح حياتنا بدون ذلك ،
وتلك نتيجة منطقية لمن آمن بالله ربا وخالقا ، ولمن آمن بصفاته
وأفعاله ، كيف نقول ان الله هو الذي خلقنا وأوجدنا وخلق
الكون ، وهو الذي يرزقنا ويطعمنا ويسقينا ثم نتوجه إلى غيره ،
ونتحاكم إلى غيره؟! هذا تناقض ما بعده تناقض ، يرفضه المنطق
السليم ، والعقل المبصر اليقظ .

ولقد وقعت البشرية كثيرا في هذا التناقض ، فكثير من الناس

(١) سورة المؤمنون : ٥٢

اعترفوا بالله ربا وخالقا ورازقاً ، ولكنهم لم يخضعوا لجلاله وعظمته ولم يقصدوه ، ولم يسألوه ويعتمدوا عليه ويتوكلوا عليه ، بل كثير من الناس اتجهوا إلى غيره بالتقديس والتعظيم ، وسألوا من لا يستحق السؤال ، وقد ناقش الرسل اقوامهم في عدم استحقاق الآلهة التي يعبدونها للعبادة ، وان الذي يستحق ذلك هو الله ، لانه هو الخالق الرزاق الحي السميع البصير المحيي المميت ، لقد حاج ابراهيم قومه في الآلهة التي يعبدون ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عِزًّا ﴿٧١﴾ قَالِ هَلْ يَسْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٣﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٦﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٧﴾ فَلْيَنْهَيْكُمْ عَنْ عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٩﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨٠﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي يُبَيِّنُ لِي مِمَّا يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٣﴾ (١)

انها لا تستحق العبادة لانها لا تسمع داعيها، ولا تضر ولا تنفع ،

(١) سورة الشعراء : ٧٠ - ٨٢

الله وحده الذي يستحق العبادة لانه المطعم المسقي، الذي يشفي
المريض ، ويميت ويبعث الموتى ، وهو الذي يغفر الذنوب ويتجاوز
عن الزلات ، وقد امر الله رسوله محمدا ﷺ ان يواجه المشركين
الذين اتخذوا من دون الله آله وأن يبين لهم ان هذه الالهة لا تستحق
شيئا من ذلك وأن الله وحده هو المستحق لذلك كله ﴿ قُلِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَلَيْسَ مَعَ
اللَّهِ بَلٌّ لِّهْمِ قَوْمٍ يَعِدُلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ
خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا
أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ
إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ
اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ
وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَلَّى
اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ

صَدِيقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴿١﴾ .

مادام الله وحده الذي فعل ذلك كله فهو المستحق للعبادة ،
ومنهجه الذي انزله للناس كي يسيروا وفقه في حياتهم الخاصة
والعامة ، وكي تسير عليه مجتمعاتهم - هو المنهج الوحيد الصالح
للحياة ، والبشر الذين يعرفون الله ويتوجهون اليه وحده دون
سواه ، ويتلقون منهجه ويعملون به - هم الذين يحققون التوحيد
والوحدة ، توحيد الاله الخالق الرازق فهذا الكون له رب واحد
وخالق واحد ، وبذلك لا يضيع الانسان بين ارباب كثيرة تحيرة
وتضله ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٢) .

وهو يتوجه اليه وحده ، يتعرف عليه من خلال اسمائه
وصفاته ، فيشغل نفسه بأعظم قضية وأشرفها ، ثم تكون أشواقه
وأماله متجهه إلى الله الواحد ، فله حبه ، ومنه خوفه ، واليه
رجاؤه ، وعليه توكله واعتماده ، يوجه عمله اليه وحده ، اللهم لك
نسجد ، واليك نسعى ونحفد ، ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي
وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) ، نعم يصبح الله هو محور

(١) سورة النمل : ٥٩ - ٦٤

(٢) سورة يوسف : ٣٩

(٣) سورة الانعام : ١٦٢

العلم والفكر والعمل ، وكل ذلك وفق تعاليم واضحة تلقاها العبد من الله ، لقد كان (الله) هو محور حياة الانبياء والرسل والصالحين من البشر ، وحسبك ان تنظر في مسيرة الرسل والانبياء من خلال القرآن فتعلم هذا ، وكل التعاليم التي انزلت الى الرسل تدور حول هذه القضية ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ^(١) وأمر الله رسوله الخاتم ان يقول : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّةٍ إِلَهُكُمُ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُكُمْ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٢)

مدار القرآن كله على التوحيد :

ومن تأمل في كتاب الله جيدا وجد مصداق هذه الآية فيه ، فالقرآن كله دائر حول هذه القضية ، وكل ما أوحاه لرسوله - ﷺ - داخل في هذه المسألة ، فالقرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته ، وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، وهذان هما جانبنا التوحيد : التوحيد العلمي الخبري الذي يصف الله ويخبر عن افعاله ، والتوحيد القصدي

(١) سورة الأنبياء : ٢٥

(٢) سورة الانبياء : ١٠٨

الطلبي ، الذي يوحد وجهة العباد نحو رب العباد ، وإمّا أوامر ونواهي والزام بطاعة الله ، وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته ، وإمّا خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرمهم به في الآخرة ، فهذا جزاء التوحيد ، وإمّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهذا جزاء من خرج عن التوحيد ، فالقرآن كله عن التوحيد ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّمَ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١)

من ضل عن الله خسر كل شيء :

إن توحيد الله نقطة البداية في حياة المسلم وحياة الأمة الاسلامية وهو نقطة النهاية ، ومن ضل عنه خسر كل شيء ، خسر الدنيا والآخرة ، وهو اضل من حمار أهله ، فحياته ضنكه ، وسعيه مردود ، وذنبه غير مغفور ، وآخرفته شقاء ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ

(١) سورة الكهف : ١١٠

فَقَدْ أَفْتَرَىٰ إِنَّمَا عَظِيمًا ﴿١﴾ ﴿١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۗ
 وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ
 ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٢﴾ ﴿٢﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ
 فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣﴾ ﴿٣﴾ .

ومادام ذنب هؤلاء غير مغفور فهم محرومون من الجنة خالدون
 في النار ابدًا : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 الْجَنَّةَ ﴾ (٤)

﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِبَاطِ ۚ وَكَذَلِكَ
 نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٤﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾ .

وقد حدثنا الرسول ﷺ « ان ابراهيم يلقي أباه أزر يوم القيامة ،
 وعلى وجه أزر قرة وغبره ، فيقول له ابراهيم ، الم أقل لك ، لا

(١) سورة النساء : ٤٨

(٢) سورة النساء : ١١٦

(٣) سورة الحج : ٣١

(٤) سورة المائدة : ٧٢

(٥) سورة الاعراف : ٤٠ - ٤١

تعصني ؟ فيقول له ابوه : اليوم لا اعصيك ، فيقول ابراهيم :
 يارب إنك وعدتني الا تخزني يوم يبعثون ، فأبي خزى اخزى من أبي
 الابد ؟ فيقول الله تعالى : « إني حرمت الجنة على الكافرين » ،
 ثم يقول لابراهيم : ما تحت رجلك ؟ فينظر فاذا هو بذبح
 متلخ ، فيؤخذ من قوائمه فيلقى في النار»^(١) وصدق الله اذ
 يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ
 كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾^(٢) .

أما الموحدون المستقيمون فسعيهم مشكور وذنبهم مغفور ﴿ إِنَّ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ
 نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾^(٣) .

(١) رواه البخاري في صحيحه ، انظر مشكاه المصابيح ، حديث رقم (٥٥٣٨)
 جـ ٣ ص : ٥٨ والفترة هي السواد من الكآبه والحزن ، والغبرة : الغبار ،
 والذبيخ : ذكر الضبيخ الكثير الشعر ، وإنما مسخه الله ضبيعا حتى لا يخزى به
 ابراهيم بعد ذلك لعدم معرفة الناس انه والد ابراهيم ، وبذلك يتحقق وعد
 الله لابراهيم ، ولكنه لا يدخل الجنة .

(٢) سورة محمد : ٣٤

(٣) سورة الكهف : ١٠٧

الدعوة إلى التوحيد واجب الدعاة الاول :

وإذا كان هذا شأن التوحيد ، وذاك خطره فإنه حرّيّ بالمسلم ان يتعرف اليه ، ويدقق فيه حتى ينجو من الشرك ، خاصة وأن الشرك خفى أخفى من ديبب النمل كما يقول ابن مسعود .

وحرّيّ بالدعاة أن يوجهوا جهودهم إلى تبصير الناس ، كيف يوحدون ربهم ، وكيف يخلصون دينهم لله ، وعليهم أن يجعلوا ذلك هو الأصل والأساس ، كما كان الرسل من قبل ، وعليهم أن يربطوا مشكلات الناس وقضاياهم بالأصل الكبير .

الشرك لم ينته من ديار الاسلام :

إن مظاهر الشرك وصوره لا تزال بارزة في حياة المجتمعات الانسانية الى اليوم ، لا تزال التماثيل والاصنام والابقار والفتران تقدس في كثير من ديار العالم ، ولا يزال في ديار المسلمين أقوام يقصدون الاموات ويعبدونهم من دون الله بالاستغاثة والاستعانة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم .

الشرك الاكثر انتشار في عصرنا :

ولكن المصاب الكبير اليوم هو مشاركة البشر لله في حكمه ،

حيث قام فيهم من يشرعون للناس قوانين وتعاليم تخالف منهج الله
 وشرعه ، لقد اعتدى رجال القانون ورجال الحكم على حق من
 حقوق الله ، ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
 إِيَّاهُ ﴾ (١) وجعلوا انفسهم اندادا لله ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَائُوا شَرَعُوا
 لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (٢) وهذا من الجهل والضلال
 ﴿ الْخُكْمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
 يُوقِنُونَ ﴾ (٣) ، وهؤلاء الذين يضعون القوانين والذين يحكمون
 بها والذين يرضون بالتحاكم اليها يناقضون دعواهم عندما يدعون
 انهم مؤمنون موحدون ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ
 وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ
 بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا
 أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يُخَاجُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
 وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ء وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا

(١) سورة يوسف : ٤٠

(٢) سورة الشورى : ٤١

(٣) سورة المائدة : ٥٠

(٤) سورة النور : ٤٧

بَعِيدًا ﴿١﴾ وقد ذم الحق تبارك وتعالى اهل الكتاب الذين تابعوا احبارهم وورهبانهم الذين شرعوا خلاف ما انزل وعدهم عابدين لهم ، ﴿ اَتَّخَذُوا اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللّٰهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ ﴿٢﴾ إن دعوة التوحيد تقضي الالتزام بالمنهج الحق ، اما الاعتراف بالله ربنا ومعبودا ، والتوجه اليه في الصلاة والصوم والدعاء ، والاستكبار عن الالتزام بشرعه في امور السياسة والاقتصاد والحكم والتربية ونحو ذلك فهذا من جنس ضلال المشركين الذين عبدوا مع الله آله اخرى .

معالم هادية في اعظم قضية :

وعلينا اليوم ونحن نبذل الجهود في شتى بقاع الارض لحمل الراية التي استلمناها من اسلافنا أن نتذكر الامور التالية :

١ - أن دعوة الناس إلى توحيد الله علما ومعرفة في القلب والضمير ، وعبادة وتوجهها بالعمل والسلوك ، هي القضية الكبرى في الاسلام وهي القضية التي جرى حولها الصراع

(١) سورة النساء : ٦٠

(٢) سورة التوبة : ٩

خلال تاريخ البشرية الطويل ، وهي القضية التي حملها
الرسول ، وكانت المحور الذي تركز دعوتهم عليه ، والذين لم
يفقهوا هذه القضية خسروا خسرانا مبينا .

٢ - إن قضية توحيد الله سبحانه وتعالى تتحقق بأمر :

الأول : أن نعرف ربنا سبحانه ، ونقر اقرارا جازما بأنه خالقنا
وخالق هذا الكون الذي نحن فيه ، وما فيه من عوالم ، ونوقن بأنه
قائم على هذا الكون يدبره ويصرف اموره ، وأن علمه محيط
بمخلوقاته ، وقدرته نافذة فيهم ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ،
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا
بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يدعو ربه مقرا بهذه الحقيقة وهو يناديه
ويناجيه ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ نِسَاءٍ وَتَنْزِعُ

(١) سورة البقرة : ٢٥٥

الْمَلِكَ مِّنْ نَّسَاءٍ وَتُعَزِّمَن نَّسَاءً وَتُنذِلُ مَن نَّسَاءٍ بِيَدِكَ الْخَيْرُ
 إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ
 فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ
 مَن نَّسَاءً بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ .

الثاني : أن نعترف جازمين أن هذا الاله الخالق الرازق المدبر
 المصرف القادر المتصف بصفات الكمال والجلال هو المستحق
 للعبادة دون سواه .

وأكثر الناس كانوا ولا يزالون يصدقون بوجود الله وأنه الخالق
 للكون ، وانه الرازق المحيي المميت ، ولكنهم لا يعبدونه وحده ،
 بل يعبدون غيره معه ، ومن هؤلاء العرب الذين بعث إليهم
 الرسول ﷺ ، فقد كانوا يعبدون الله ويحجون له ، ويدعونه ،
 ويزعمون أنهم أبناء ابراهيم وحمله دعوته ، ويقولون لله بالخلق
 والرزق والاحياء والإماته ، ولكنهم يعبدون معه الاصنام والاوثان
 والانداد ﴿ وَلَٰئِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَخْرَجِ
 الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٢) .

(١) سورة آل عمران : ٢٦ - ٢٧

(٢) سورة العنكبوت : ٦١ .

﴿ قُلْ لَعْنِ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾
سَبِقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ
وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَبِقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾
قُلْ مَنْ مِنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَبِقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ (١) .

ولا شك أن هذا تناقض بين ، فكيف نصدق بأن الله وحده هو
الخالق الرازق المحيي المميت ، ثم لا نقصده وحده بالعبادة
والدعاء والاستعانة ، وكيف نتحاكم إلى شرائع البشر ، ونتبع
مناهجهم !! كل ذلك ضلال .

وأحب أن أبين هنا أن بعض الكاتبين يطلق اسم الايمان على
الذين يعترفون بوجود الله ، ويقرون بخلقه للكائنات ، وإن لم
يعبدوه ويتبعوا منهجه ، وهذا خطأ بين ، فالايان معروفة حدوده
بيئة معاملة ، لا ينسب اليه إلا من أخذه كما جاء في الكتاب
والسنة ، وقد سئل الرسول - ﷺ - عن الايمان فقال : « أن تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله

(١) سورة المؤمنون : ٨٤ - ٨٩

تعالى « فمن نقص ركناً من هذه الأركان فليس بمؤمن ، وليس الإيمان مجرد التصديق بوجود الله فحسب .

وأمر آخر أحب أن أبينه هنا ، وهو أسلوب القرآن في محاجة المشركين الذين يعترفون بوجود الله وأنه الخالق الرازق المحيي المميت المدير المتصرف ، ثم يعبدون غيره معه ، ولا يفردونه بالعبادة ، فقد أطل القرآن في عرض الأمر الأول ليلزم بالأمر الثاني ، إذ الخالق الرازق . . . هو المستحق للعبادة دون سواه .

قال تعالى مخاطباً المشركين ليدلل على استحقاقه العبادة دون

غيره : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣١) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١﴾ .

الثالث : أن نتعرف على ربنا من خلال النصوص التي تحدثنا

(١) سورة الأنبياء : ٣٠ - ٣٣

عن أسمائه وصفاته وأفعاله ، فهذا هو المنفذ الذي يدلّ الناس على ربهم ويعرفهم به معرفة حقّه ، فالله لا يعرف بالرؤية والمشاهدة في الدنيا ، ومن يطالع كتاب الله بتدبر وتأمل فإنه يرى صفحات هذا الكتاب وقد امتلأت بالحديث عن الله وصفاته وأسمائه .

والتأمل في صفات الله وأسمائه ودعاؤه وتمجيده بها - هو الذي يحيي النفوس ويجلب لها الطمأنينة والحياة ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١) ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (٢) .

الرابع : مدلول العبادة واسع ، فالعبادة التي أمرنا بأن نفرد الله بها ، كلمة تتناول الشعائر التعبدية التي تعرف باسم العبادات ، كما تشمل العمل القلبي ، والسلوك العملي ، فليس المراد بالشرعية التي أمرنا باتباعها الشعائر التعبدية فقط ، كما هو المفهوم السائد اليوم .

الخامس : لا يكفي في التوحيد الاقرار الله بالوحدانية ، في ربوبيته والاهيته ، بل لابد مع ذلك من الكفر بالطواغيت التي

(١) سورة الرعد : ٢٨

(٢) سورة الاعراف : ١٨٠

تنصب آلهة تعبد مع الله ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾ (١) ، فلا يكفي أن نعبد الله وحده ، ثم نهادن الكفرة والطواغيت ، بل من صميم الايمان الكفر بالباطل ومحاربه والوقوف في وجهه .

السادس : بغض الطواغيت وعبادها ، وقد زعم بعض دعاة الاسلام أننا لا نكره الكفرة والفاستقين ، ونحب لهم الخير ، لأنَّ المسلم ليس حقودا ، وهذا الكلام فيه باطل وحق ، أما الباطل فهو زعمهم أن المسلم لا يكره أحدا ، وهذا غير صحيح ، فإن الله أوجب علينا كراهية الشيطان ، وبغض فرعون وأبي جهل وأضرابهم ، فهؤلاء أعداء الله يكرههم ويبغضهم ، والله يريد منا أن نبغض أعداءه ، وقد جاءت النصوص صريحة في هذا ، ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (٢) .

(١) سورة البقرة : ٢٥٦

(٢) سورة المجادلة : ٢٢

وحذرنا الله من موادتهم ومحبتهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (١) .

وقد أمرنا الله بالافتداء في هذا بإبراهيم والذين معه ﴿ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بَرَاءٌ ءَأُوْمِنُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ (٢)
وهذه المسألة في غاية الوضوح والبيان في نصوص الكتاب والسنة .

اما الحق الذي في كلام هؤلاء فهي حجة الخير هؤلاء الظلمة
الكفرة وذلك بدعوتهم للايمان ، ومحبتنا لاسلامهم .

أيها الأخوة والأخوات : إن معرفة الله بأسمائه وصفاته ،
والتوجه إليه بالدينونة ، توجهها كلياً شاملاً ، والأخذ بمنهجه الذي
أنزله في محكم كتابه ، وبينه رسوله - ﷺ - هو الدواء الشافي لأوجاع
البشرية وآلامها ، وهو الروح لأرواحنا ، والنور لنفوسنا
﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي

(١) سورة الممتحنة : ١

(٢) سورة الممتحنة : ٤

مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن
نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴿١﴾

لقد سَمَى اللهُ وحيه المنزل روحا ونورا ، فهو للارواح نور يمدده
بالحياة الحقّة ، فالإنسان بغير هذه الروح يعيش حياةً بهيمية ، يأكل
ويشرب وينكح النساء ، وهو في ذلك لا يفارق البهائم
والحيوانات .

أما الروح التي تسمو بالإنسان في مدارج الكمال ، وتمده
بمميزات فريدة فهي تلك الروح التي تسري في كيانه عندما يتصل
بالمُدد الإلهي الذي أنزله اللهُ من السماء على خاتم رسله وأنبيائه .

والبشر الذين لا يملكون هذه الروح موتى ، وإن كانوا في عالم
الأحياء ، قال تعالى : ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ (٢) ، كان
ميّتا عندما كان كافرا ضالا ، فأحياه اللهُ بوحيه وكتابه ، والذي لم
تخلص نفسه لهذا الدين فإن قلبه يكون مريضا ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ فَرَّادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ (٣) ، وشفاء أمراض القلوب

(١) سورة الشورى : ٥٢

(٢) سورة الأنعام : ١٢٢

(٣) سورة البقرة : ١٠

والأرواح يكون باتباع هذا الدين ، ولن تحيا هذه النفوس بما جاء به
انجلز أو ماركس أو سارتر أو ميشيل عفلق أو غيرهم من التائهين
الخياري .

وهذا الوحي نور يكشف ظلمات الجهل والكفر التي تحيط
بالنفس ، كيلا يضل العباد في دروب الحياة ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي
بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (١) ، ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ
نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٢) .

ولقد ضرب الله مثلا رائعا للنور الذي يتلألأ في قلب العبد
المؤمن الذي يستمد هداه من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - في
سورة النور حيث يقول : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ
نُورِهِ كَمِثْقَةِ ذَرَّةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا
غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلِيِّ نُورٌ
يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

(١) سورة الأنعام : ١٢٢

(٣) سورة النور : ٣٥

(٢) سورة الشورى : ٥٢

فهذا مثل ضربه الله لنوره في قلب عبده المؤمن ، فقد شبه الله هذا النور بالمصباح ، وقلب المؤمن في صفاته في نفسه بالقدليل من الزجاج الجوهري ، والشرع الذي يستمد القلب منه نوره بالزيت الصافي الجيد المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف ، ولا شك أن هذا النور الذي على هذا النحو نور قوي رائق (نور على نور) ، ولكن الذين يهتدون لهذا النور هم الذين اختارهم الله واصطفاهم ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾^(١) .

وكي نحصل على هذا النور القرآني الإيمانى علينا أن نتولى ربنا وحده ، ونعرض عن المبادئ الضالة والكافرة من شيوعية ورأسمالية وقومية ، ونقبل على منهج ربنا ودينه ، والا فإن أتباع المذاهب الأرضية ينتقلون من ظلمة إلى ظلمة ومن ضلال إلى ضلال ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٢) .

أيها الأخوة والأخوات : إن الذين يعيشون اليوم في نور الاسلام

(١) راجع تفسير ابن كثير لهذه الآية الكريمة فمنه استقيننا .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٧

يعز نفوسهم ، ويضيء أبصارهم وبصائرهم ، فيعرفون الحق والهدى ، ويعرفون الضلال والباطل من المبادئ والمذاهب والقيم - هم الذين يمتد نورهم إلى حياتهم البرزخية ، وحياتهم الأخروية . أما الذين حرموا من هذا النور ، وعاشوا في دنياهم في ظلمات العقائد والتصورات والقيم والأفكار التي ابتدعها الفكر الإنساني المنحرف فستكون حياتهم القادمة كثيبة تعسة ، وسيندمون حيث لا ينفع الندم ، وتأمل معي هذه الآيات التي تحكي حال الفريقين في الدار الآخرة ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ * الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِدِكْرِ
 اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن
 قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
 فَسَقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
 لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يبارك فيكم ، ويسدد خطاكم ،
 وأن يجزل لكم الأجر والثواب ، ويجعلكم مفاتيح خير ، مغاليق
 شر ، وأن ينفع بكم العباد والبلاد ، وأن يجزل الأجر والمثوبة
 للقائمين على هذا المؤتمر المبارك ، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ
 عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ .

(١) سورة الحديد : ١٢ - ١٧ .

(٢) سورة الصافات : ١٨٠ - ١٨٢ .